الإعلام كسلاح في حروب الجيل الخامس: التأثير، التلاعب، والسيطرة

Media as a Weapon in Fifth-Generation Warfare: Influence, Manipulation, and Control

أ.د/ سي موسى عبد الله[1]

abdellah.simoussa@univ-bechar.dz

جامعة طاهري محمد بشار -الجزائر-

قسم علوم الإعلام والإتصال

تاريخ الإرسال: 2025/03/06	تاريخ القبول: 2025/03/08	تاريخ النشر: 2025/03/15

الملخص:

تُعدُّ الحرب شكلاً من أشكال الصراع المسلح الذي قد ينشب بين الدول أو بين الجماعات البشرية والفواعل المسلحة غير التقليدية. وقد شهدت الحروب تطورات كبيرة بفعل التقدم التكنولوجي، بدءًا من الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، مما أدى إلى تغيّر العقيدة العسكرية بتغير الأسلحة والتكتيكات. ويتضح ذلك عند مقارنة الحروب التقليدية، مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية، بالحروب غير التقليدية، مثل الحرب الفيتنامية والصراع العربي الإسرائيلي (1967-1973) وحربي الولايات المتحدة ضد العراق (1990 و2003).

وفي هذا الإطار، تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على تطور أجيال الحروب المختلفة وصولًا إلى حروب الجيل الخامس، التي تعتمد بشكل متزايد على المعلومات والحروب السيبرانية والتأثير الإعلامي. كما تناقش الورقة دور الإعلام كأداة فاعلة في تشكيل الوعي الجماهيري والتأثير على مسارات النزاعات، مما يجعل منه أحد أهم الأسلحة غير التقليدية في الصراعات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الحرب؛ الاعلام؛ حروب الجيل الخامس؛ الصراع؛ التلاعب.

Abstract:

War is an armed conflict that may occur between states or between human groups and non-state actors. Over time, wars have evolved due to technological advancements, particularly since the Industrial Revolution in the nineteenth century, leading to shifts in military doctrines. This evolution is evident when comparing traditional wars, such as World Wars I and II, with unconventional conflicts like the Vietnam War, the Arab-Israeli conflict (1967–1973), and the United States of America wars against Iraq (1990 and 2003).

This paper explores the development of warfare generations, focusing on fifth-generation warfare, which relies on information, cyber warfare, and media influence. It examines the media's role as a powerful tool in shaping public perception and influencing conflicts, making it a key non-traditional weapon in modern warfare.

Keywords: War; Media; Fifth-Generation Warfare; Conflict; Manipulation.

[1] المؤلف المرسل: ا.د/ سي موسى عبد الله

مقدمة:

شهد العالم على مرّ العقود، تحوّلًا جوهريًا في مفهوم الحروب، فلم تعد الصراعات مقتصرة على المواجهات العسكرية التقليدية بين الجيوش النظامية، بل امتدت لتشمل أدوات وأساليب غير تقليدية. هذا التحول جاء نتيجة عوامل عدة، من أبرزها التطور في التكنولوجيا والاتصالات، مما أدى إلى تغيير طبيعة المواجهة بين الدول والفاعلين من غير الدول، بحيث باتت الحروب الحديثة تُخاض عبر وسائل متعددة تتجاوز الأبعاد العسكرية المباشرة.

أحد العوامل الرئيسة التي ساهمت في هذا التحول هو التقدّم في المنتج التقني والتكنولوجي، إذ أصبح للذكاء الاصطناعي والروبوتات العسكرية والطائرات المسيّرة والأمن السيبراني، دور محوري في العمليات القتالية. لم يعد تحقيق الانتصار يعتمد فقط على التفوق العسكري التقليدي، بل أصبح مرتبطًا بالقدرة على امتلاك أدوات رقمية وتقنية تتيح التفوق في ساحة المعركة، سواء كانت مادية أو افتراضية.

إلى جانب التطور التكنولوجي، شهدت الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية تحولات عميقة أثّرت بشكل مباشر على طبيعة الحروب الحديثة، فمع تزايد الترابط الاقتصادي والعولمة، أصبحت الدول تلجأ إلى أساليب الحرب الاقتصادية، مثل العقوبات المالية وحروب العملات، كوسائل للضغط وتحقيق الأهداف الاستراتيجية دون اللجوء إلى المواجهة المسلحة المباشرة. هذه التحولات جعلت الحرب أداة أكثر تعقيدًا، حيث تداخلت الأبعاد العسكرية مع الاقتصادية والسياسية.

كما أن فشل الأشكال التقليدية للحروب في تحقيق نتائج حاسمة دفع الفاعلين الدوليين إلى البحث عن بدائل أكثر فاعلية. الحروب التقليدية، رغم قوتها التدميرية، لم تعد تضمن تحقيق الأهداف المرجوة، لا سيما في ظل تكاليفها الباهظة على المستويات الاقتصادية والسياسية والبشرية. وفي هذا السياق، ظهرت أشكال جديدة من الحروب، مثل الحروب الهجينة التي تجمع بين الأدوات العسكرية وغير العسكرية لتحقيق أهدافها.

أحد أبرز مظاهر الحروب الحديثة هو حروب القوة الناعمة، التي اعتمدت على التأثير الثقافي والإعلامي والدبلوماسي لتحقيق الهيمنة والسيطرة دون الحاجة إلى استخدام القوة الصلبة. غير أن هذه الحروب واجهت تحديات كبيرة، أبرزها المقاومة الناعمة الذاتية التي أظهرتها الشعوب المستهدفة. فمع تزايد الوعي بأدوات الهيمنة الناعمة، أصبحت المجتمعات أكثر قدرة على مواجهة التأثيرات الخارجية والحفاظ على استقلاليتها الثقافية والسياسية، مما أعاق تحقيق الأهداف المرجوة من هذه الحروب.

في ظل هذا التحول العميق في مفهوم الحروب، وتزايد الاعتماد على الأدوات غير التقليدية مثل الحروب السيبرانية والإعلامية والاقتصادية، يبرز تساؤل رئيسي :**إلى أي مدى يمكن أن يؤثر الإعلام على الأشكال الجديدة للحروب، وما مدى قدرته على تحقيق الأهداف الاستراتيجية للدول دون الحاجة إلى اللجوء للقوة العسكرية المباشرة؟**

المحور الأول: مدخل مفاهيمي لحروب الجيل الخامس

اتّجهت البوصلة نحو تطوير أشكال الحروب لتلبي الطموحات. وإذا كانت الحروب تخدم أهدافًا سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعية وغيرها، لذلك كانت أدواتها تتغير بناءً على إمكانيَّات تحقّق الأهداف وأيّ من الأدوات والوسائل بإمكانه تحقيق الأهداف بأقلّ التكاليف وأعلى النتائج. الى أن عرفنا الجيل الخامس من الحروب، فماذا تعني حروب الجيل الخامس، وما هي أدواتها، وكيف توظف وسائل الإعلام فيها؟

حرب الجيل الخامس Fifth Generation Warfare (تكتب اختصاراً بالإنجليزية: GW5) هي الحرب التي تُنفذ في المقام الأول من خلال العمل العسكري غير الحركي، مثل الهندسة الاجتماعية، والتضليل، الهجمات الإلكترونية، إلى جانب التقنيات المستجدة مثل الذكاء الاصطناعي والأنظمة المستقلة تماماً. وقد وصف دانيال أبوت حرب الجيل الخامس بأنها حرب "معلومات وإدراك" ولها عدة مصطلحات[1]

1. الحرب الهجينة (Hybrid Warfare)؛
2. الحرب غير المقيدة (Unrestricted Warfare)؛
3. الحرب المعلوماتية (Information Warfare)؛
4. الحرب السيبرانية (Cyber Warfare)؛
5. الحرب الرقمية (Digital Warfare)؛
6. حروب المناطق الرمادية (Gray Zone Wars)؛
7. حروب القرن الواحد والعشرين (21st-Century Wars).

وتتفق كل هذه المفاهيم على تراجع القدرة على التمييز بين ثنائية الحرب والسلم، أو الحروب التقليدية وغير التقليدية، أو الحروب النظامية وغير النظامية أو الدول والفواعل المسلحة من دون الدول

---

[1] أحمد عبد الوهاب منصور ،**المنشورة لدى الرأي العام في ضوء مفهوم حروب الجيل الخامس** ، المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال، العدد 131، 2020، ص.34.

أو الحكومات . ولعل هذا ما عبر عنه وزير الدفاع الأمريكي الأسبق، "روبرت جيتس" حينما أكد على "أن تصنيفات الحروب أصبحت غير واضحة، ولم تعد تناسب التقسيمات المتعارف عليها، ويستطيع المرء أن يتنبأ بالتوسع في توظيف أدوات وتكتيكات الحرب، من المعقد إلى البسيط، بصورة متزامنة في الأشكال الهجينة والأكثر تعقيدا من الحروب.

وبالرغم من أنّ هناك تداخلاً بين أجيال الحروب كافة، فإنّ حروب الجيل الخامس تبدو مختلفة عن سائر الأجيال الأربعة للحروب، وتنطوي على تغير جوهري، سواء من حيث مجالات الصراع أو أدواته.

وعلى الرغم من توسع مجال الصراع واستخدام القوة من جيل إلى آخر، من البر إلى الفضاء الإلكتروني، ومن المجالات المادية (البرية والبحرية والجوية) إلى المجال السياسي (صراع الإرادة السياسية)، فإنّ مجالات حروب الجيل الخامس "غير مقيدة". وتتراوح هذه المجالات من الحروب الاقتصادية (بما في ذلك استخدام الأدوات المالية والتحكم في الموارد الطبيعية)، والحرب البيولوجية (بمعنى محاولة تغيير أو تدمير البيئة الطبيعية في الدولة المستهدفة)، والحرب البيئية؛ التي تلجأ إلى توظيف الجراثيم أو الفيروسات أو غيرها من الكائنات الحية لنشر الأوبئة بين البشر والحيوانات والنباتات، ومثال ذلك هجمات الأنثراكس عام 2001 ضد مبنى الكونجرس الأمريكي.

كما تتضمن حرب المعلومات استخدام الفضاء الإلكتروني، بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، من قبل التنظيمات الإرهابية للتجنيد والاتصال والتنظيم والحشد.

وقد أثبت الدارسون الدور الكبير للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في عملية التحول إلى الراديكالية، ومساعدة تنظيمات الإرهاب في تشكيل أيديولوجياتهم، بل وفي رسم تكتيكي تهم طرائقهم في تنفيذ عملياتهم، ثم الدعاية لها.

ومن مظاهر حروب الجيل الخامس أيضاً استهداف الفاعلين السياسيين الرئيسيين (القادة)، بدلاً من استهداف قواتهم في الميدان. والأمثلة على ذلك كثيرة، وتشمل استهداف صدام حسين في حرب العراق 2003، وقتل معمر القذافي وتصفية أسامة بن لادن عام 2011، واغتيال السفير الأمريكي في بنغازي، كريتوفر ستيفنز (2012).

وتعني فكرة "غياب القيود"، التي تتسم بها حروب الجيل الخامس، أيضاً تلاشي الحدود بين ما يعد سلاحاً وما لا يعد سلاحاً، وبين ما يشكل أرضاً للمعركة وما لا يعد مسرحاً لها، وبين المقاتلين والمدنيين، وبين الدول والفاعلين من غير الدول، وبين ما يعد أفعالاً أخلاقية أو إجرامية وما لا يعد كذلك.

وقد تحولت طبيعة الصراع بما لا يترك مجالا للشك آخذا أشكال عدة:

1. تراجع الصراع بين الدول وصعود الحروب الأهلية.

2. تنامي التعاون بين الفواعل المسلحة من دون الدول والمنظمات العابرة للحدود تستفيد من انتشار الفوضى بالتورط في أنشطة الجماعات الاجرامية المنظمة مثل المخدرات والخطف وطلب الفدية لخلق الفوضى الامنية .

3. انتشار الصراعات الممتدة: يترتب عن ذلك تعدد الاظراف الفاعلة في الصراع من الدول والفواعل المسلحة من دون الدول وتضارب اهدافهم واجنداتهم واستمرار الصراعات لفترات زمنية طويلة ومساحات واسعة من الدول والاعتماد على الوكلاء من الفاعلين المسلحين.

4. الاعتماد على المواد الزدوجة الاستعمال: مثل التطبيقات التكنولوجية والمواد الكيمياوية والاسمدة الزراعية في تصنيع المتفجرات واستخدام طائرات الدرونز للقيام الاستطلاع او تحميلها بالمتفجرات.

5. تراجع الخظوط الفاصلة بين حالتي الحرب والسلم من خلال الحرب الاعلامية والاقتصادية ودعم الجماعات الارهابية.

6. ضعف الولاء للدولة الوطنية: من خلال ترويج بعض التنظيمات والدول لايديولوجيات عابرة للحدود الوطنية او مساعي بعض الحركات لتوظيف الانتماء المذهبي او الاثني الى اختراق الدولة الوطنية. ودفع مكونات مجتمعية على اساس عقدي او اثني الى تبرير او محاولة اضفاء الشرعية على محاولة الخروج عن سيطلاة الحكومة المركزية.

المحور الثاني تطور أجيال الحروب عبر التاريخ

يؤرخ العديد من المحللين الاستراتيجيين العسكريين خاصة المحلل العسكري ويليام ليند بداية الحروب الحديثة بمعاهدة صلح وستفاليا 1648وهو اسم يطلق على معاهدتي السلام بالمانيا لانهاء حرب 30 عام في الامبراطورية الرومانية.

1. حروب الجيل الاول:

تتم باستحدام البنادق والمدافع وتوجيه النيران بكثافة وعلى امتداد ميدان المعركة لتحقيق انتصار عسكري من اول مواجهة وتمثلت اهمية هذا الجيل في غرس ثقافة النظام والانضباط العسكري والتي لا تزال السمة الرئيسية في الجيوش الحديثة.

2. حروب الجيل الثاني:

ظهر مع الاقتصاد الصناعي للسلاح في اروبا واهداف هذا الجيل الاستنزاف وقد اوجز الفرنسيون العقيدة الاساسية لهذا الجيل من الحروب –المدفعية تهزم والمشاة تقتل- وهو ما جعل النيران الكثيفة هي السلاح الحاسم في المعركة. وتقوم هذه الحرب على التنسيق بين المدرعات والمشاة.

3. حروب الجيل الثالث:

ظهر هذا الجيل من الحروب خلال الحرب العالمية الثانية بظهور الدبابات وتطور الطائرات المقاتلة ونظم الاتصالات ولاول مرة بدا التنسيق بين القوات البرية والجوية فقل عدد المقاتلين مثل انتصار الالمان على الفرنسيين 1940.

4. حروب الجيل الرابع:

ترجع بدليات هذا النوع من الحروب الى ما قبل الحرب العالمية الثانية لفترة طويلة كما في الحرب الاهلية الامريكية 1861- 1865 والخرب الروسية اليابانية 1904- 1905 وكان ماوتسي تونغ زعيم الثورة الصينية اول من كتب وقام بتطبيق ناجح لحروب الجيل الرابع. وهي تمتد لسنوات وفي بعض الاحيان لعقود طويلة فقد حارب الفيتناميين الو م ا لاكثر من عقدين من الزمن وقام الفلسطنيين بمقاومة الاحتلال منذ 1948. وتمتد حروب الجيل الرابع على توظيف حرب العصابات وتنظيم حملات اعلامية كثيفة للتأثير الافراد والمجتمعات وابرز خصائص هذا الجيل هي:

ولحروب الجيل الرابع جملة من الخصائص نذكر منها أهمها:

1- الامتداد الزمني.

2- اولوية الابعاد السياسية.

3- تصاعد استهداف المدنيين.

4- محورية حرب المعلومات.

5- تدخل الاطراف الخارجية

يعرف الناس أن الحروب ثلاثة أنواع، لكن القليلين منا فقط من يعرفون بأن النسخة الرابعة الأخيرة منها، وهي الحرب الإعلامية، أشد بأسا وخطورة من نسخها التقليدية، فهي حرب من دون وضع أيد على الزناد وإطلاق رصاص ودوي مدافع، لكنها أشد وقعا وتأثيرا.

ومن ثم يستحيل أن ننتصر في حرب لا نعلم عنها أي شيء، ولا نملك عنها أي معلومات، ولا نعرف من يديرها؟ وبأي أسلوب يخوضها أصحابها؟ وما هي ثقافتها؟ وماذا نعرف عنها؟ ومن يقف وراءها ويديرها؟ وكيف؟ وبأي أدوات؟ فهي تخلط الشائعات بالحقائق، وتعمل على تصديق الأخبار من دون فحص وفرز.

حروب الجيل الرابع حروب من نوع جديد لها أسلوبها الخاص، وهي اليوم تحكم قبضتها علينا من جميع الجهات دون أن ندري، فهي تزودك بكل ما تريد من أخبار ومعلومات في كل دقيقة ولحظة.

5. حروب الجيل الخامس

حروب الجيل الخام(Fifth Generation Warfare) وتُعرف اختصاراً هكذا GW5، ظهر هذا المصطلح في الغرب منذ بداية القرن الواحد والعشرين، وهي نسخة مطورة من حروب الجيل الرابع، إذ تهدف إلى احتلال عقول البشر بدلًا من احتلال الأرض، لإسقاط الدول من الداخل وتفتيتها، وتحويلها لمجموعات متناحرة تحارب بعضها، ونشر حالة من الإرباك عبر إشاعة الفوضى، كما يتم استخدام المواطنين كسلاح ضد دولتهم عبر إضعاف الانتماء وقتل الروح المعنوية[1].

وفي تلك الحروب يجري توظيف كل القوى الناعمة بشكل مكثف، فهدفها المركزي هو إفشال الدولة المستهدفة من دون تدخل عسكري، فهي تهاجم الشعوب بالأساس وليس الجيوش، وهي بمثابة حرب فكرية، تعتمد بشكل أساسي على بث الفتنة والشائعات بين الشعوب، واللعب على أوتار الخلافات الدينية أو العرقية أو المذهبية وغيرها، كما تسمى (الحروب بالوكالة)،

[1] أحمد علّو، **هل أصبحنا في الجيل السادس**، مجلة الجيش، العدد 405، آذار 2019، ص.65.

أو عبر خلق دوامة من العنف (Vortex of Violence) والفوضي عبر توظيف كل من القوى التقليدية وغير التقليدية، غير أنها تبدأ عادة بإعلان حرب نفسية شاملة على الجهة المستهدفة، فالإحباط الذي تصنعه تلك الحرب النفسية، وفقاً للبعض، هو المحرك الأساسي لها، إذ يجري إلحاق هزيمة نفسية بالعدو عبر إيهامه بأن مقاومته لا جدوى منها وبالتالي يستسلم دون أدنى مقاومة، أي إحداث حالة من القصور الذاتي للدول وهو ما يؤذن بانهيارها الداخلي.

من هنا يمكن أن نفهم قول الفيلسوف والخبير العسكري الصيني صن تزو مؤلف كتاب (فن الحرب) بهذا الشأن:" إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو من دون قتال.." كما يجري في تلك الحرب دعم أحد التنظيمات الإرهابية ماديًا وعسكرياً ومعلوماتياً. يرى البعض أن حروب الجيل الخامس هي في فلسفتها امتداد لنظرية عالم الاقتصاد والسياسة الأمريكي جوزيف شومبيتر حول التدمير والبناءdistraction and creative، تلك التي تبنتها كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية ومن ثم أطلقت تصريحها حول الفوضى الخلاقة (Creative Chaos)عام 2005 م.

جدير بالذكر أن مصطلح الفوضي الخلاقة هو مصطلح قديم، إذ كان يتردد في أدبيات الفكر الماسوني، كذلك ذكره الكاتب الأمريكي الشهير دان براون في مؤلفاته.

لقد عرَّف توماس بارنت حروب الجيل الخامس بأنها القدرة على تعطيل كل دفاعات العدو، فهي حرب شاملة: حرب نفسية، وثقافية، واقتصادية، ومالية، وبيئية، وبيولوجية وفيروسية، يقودها الإعلام ووسائل الاتصال بصفة أساسية،

ويطلق عليها مسمى حرب المناطق الرمادية (Grey Zones)، فلا هي حرب ولا هي سلم، أي هلامية الخطوط الفاصلة بين حالتي السلم والحرب، كذلك تسمى الحروب الهجينة (Hybrid Warfare)، حيث كل الوسائل مباحة: تقليدية وغير تقليدية فلا قيود عليها، فهي دمج تام لكل الإمكانات المتاحة: عسكرية أوغير عسكرية عبر توظيف كل ما يمكن توظيفه في ذلك، من حصار اقتصادي وضغط دولي، وتوظيف شائعات، وتمويل لجماعات ضغط، لقد أضحت مواقع التواصل الاجتماعي ساحات مفتوحة لشن الحروب العقلية والنفسية والمعلوماتية، بل إن الأقمار الصناعية جرى توظيفها في تلك الحروب عبر المساهمة في خدمات التجسس وشل القدرات الإلكترونية للعدو وغيرها.

وتعد الحرب النفسية من أهم أساليب ووسائل كسر الإرادة وإحداث قدر هائل من الفوضى، يقول الزعيم البريطاني تشرشل:"كثيراً ما غيّرت الحرب النفسية وجه التاريخ" مؤكداً الأهمية البالغة للحرب النفسية كواحدة من محددات دفع عجلة التاريخ، ومن دون شك فالشائعة هي واحدة من أقوى أساليب

الحرب النفسية، كما وظّف المغول سلاح الشائعة في حروبهم فكانت البلدان تنهزم لهم حتى قبل أن يدخلوها، لترويجهم الشائعات حول قوتهم الأسطورية وما يرتكبوه من مجازر بحق من لا يخضع لهم.

وفي الحرب العالمية الثانية عمدت ألمانيا إلى تسريب شائعة تقول أن القوات البريطانية تمكنت من تدمير محطة قطار برلين، ومن ثم تناقلتها وسائل الإعلام البريطانية باعتبارها انتصاراً كبيراً، إلا أن السلطات الألمانية دعت صحفيي العالم لمشاهدة المحطة والتي كانت سليمة تماماً وتعمل بطاقتها القصوى فاهتزت الثقة بالإعلام البريطاني عبر تلك الشائعة.

وهناك شـــائعة المخزن رقم 13 التي روج لها جوبلز وزير إعلام هتلر بأن هذا المخزن يحوي كماً كبيراً من الأسلحة المتطورة والفتاكة التي من شأنها القضاء على الأعداء وإبادتهم بشكل نهائي، كما ترددت شائعة تقول أن الألمان يقومون بغلي الجثث في قدور ويصنعون منها الصابون. وفي تلك الحرب، حروب الجيل الخامس، يجري استخدام الشبكات الرقمية بصورة مكثفة في إدارة المعارك في ساحات شتى هي: البر والبحر والجو والفضاء الكوني والفضاء الإلكتروني، وهي غزو ثقافي وفكري مطبق، ومن ثم يطلقون عليها(حرب احتلال العقول).

يقول أحد الباحثين :" هى حرب يتم فيها احتلال عقلك لا احتلال أرضــك ... وبعد أن يتم احتلالك ستتكفل أنت بالباقى ... ستجد نفسك فى ميدان معركة لا تعرف فيها خصمك الحقيقى ... إنها حرب ستطلق فيها النار فى كل اتجاه ... لكن يصعب عليك أن تصيب عدوك الحقيقى ...إنها حرب تستخدمك أنت فى قتل ذاتك وروحك ... وفى النهاية ستجد نفسك وقد كنت تحارب ."

ويضيف آخر: " في تلك الحرب تتلاشى الحدود بين ما يعد سلاحاً وما لا يعد سلاحاً، وبين ما يشكل أرضاً للمعركة وما لا يعد مسرحاً لها، وبين المقاتلين والمدنيين، وبين الدول والفاعلين من غير الدول، وبين ما يعد أفعالاً أخلاقية أو إجرامية وما لا يعد كذلك".

ومن ثم يؤكد البروفيسور (ماكس مانوارينج) الباحث في الإستراتيجية العسكرية الأمريكية أن مهمة تلك النوعية من الحروب هي: "إنهاك إرادة الدولة المستهدَفة ببطء وبثبات وصولاً لتآكلها ومن ثم إرغامها على الرضوخ لإرادة أعدائها في النهاية، ويُعد التفجير من الداخل هو الإستراتيجية الأكثر نجاعة في تلك الحروب لأجل هزيمة الخصوم، كما أنها حرب أشباح حيث انعدام اليقين حول الجهات المتورطة فيها والمُحرِّكة لها، يقول الباحث شادي منصور:" في بعض الأحيان، لا تدرك الدولة المستهدفة أنها في حالة حرب، فأحد السمات الأساسية لحروب الجيل الخامس هو تلاشي الحدود بين ما يُعد أرضاً للمعركة وما ليس أرضاً لها،

وأضحت معامل الأبحاث والبورصات ووسائل الإعلام والمراكز الدينية والمؤسسات الاقتصادية والفضاء الإلكتروني وغيرها، بمنزلة ساحات للمعارك وإدارة الصراعات."

وتعد استراتيجية إغراق الدول المستهدفة بالمواد المخدرة من أجل تغييب وعي المجتمعات واحدة من الاستراتيجيات التي يجري الاعتماد عليها بشكل كبير في تلك الحرب. أو عبر بث الخطابات ذات العلاقة بالدين أو الطائفة أو المذهب أوالعرق أو حقوق الأقليات أو حقوق الإنسان، فهي مبادئ أو حقوق عامة تبدو منطقية وإنسانية جداً، ولكنها في النهاية يتم توظيفها لتفجير المجتمعات من الداخل وتعميق تناقضاتها.

يصف الكاتب الأمريكي جون روب تلك الحرب بأنها: "حرب تدار بأسلوب التدمير الفجائي لقوى الخصم معنوياً ونفسياً، بإطلاق عملية من شأنها إشاعة الإحباط لدى الخصم عبر الفضاء الالكتروني لنشر مشاعر الخوف، وفقدان الثقة بالنفس لدى المجتمع".

وبرغم أنّ هناك تداخلاً بين أجيال الحروب كافة، فإنّ حروب الجيل الخامس تبدو مختلفة عن سائر الأجيال الأربعة للحروب، وتنطوي على تغير جوهري، سواء من حيث مجالات الصراع أو أدواته[1].

وعلى الرغم من توسع مجال الصراع واستخدام القوة من جيل إلى آخر، من البر إلى الفضاء الإلكتروني، ومن المجالات المادية (البرية والبحرية والجوية) إلى المجال السياسي (صراع الإرادة السياسية)، فإنّ مجالات حروب الجيل الخامس "غير مقيدة". وتتراوح هذه المجالات من الحروب الاقتصادية (بما في ذلك استخدام الأدوات المالية والتحكم في الموارد الطبيعية)، والحرب البيولوجية (بمعنى محاولة تغيير أو تدمير البيئة الطبيعية في الدولة المستهدفة)، والحرب البيئية؛ التي تلجأ إلى توظيف الجراثيم أو الفيروسات أو غيرها من الكائنات الحية لنشر الأوبئة بين البشر والحيوانات والنباتات، ومثال ذلك هجمات الأنثراكس عام 2001 ضد مبنى الكونجرس الأمريكي.

كما يندرج في إطار حروب الجيل الخامس حرب المخدرات (بمعنى تعمد إغراق البلد المستهدف بالمخدرات ولو من خلال التعاون مع كارتلات المخدرات) وحرب الفضاء الإلكتروني أو الحرب الإلكترونية؛ التي تستهدف تعطيل المؤسسات الحكومية والبنية التحتية وإثارة الذعر العام وزعزعة ثقة الحكومات والشركات (مثل هجمات ستاكسنت وغناني الأمريكية-الإسرائيلية ضد المنشآت النووية لإيران)، والحرب المعلوماتية؛ بمعنى استخدام المعلومات الملونة والحجج الموجهة والشائعات المروجة؛ بهدف إثارة الرأي

---

[1] شادي عبد الوهاب منصور ،**حروب الجيل الخامس**، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2019، ص.71.

العام وجره إلى مواجهات مع دوائر صنع القرار السياسي، وتأكيد "فشل" الدولة المستهدفة. كما تتضمن حرب المعلومات استخدام الفضاء الإلكتروني، بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، من قبل التنظيمات الإرهابية للتجنيد والاتصال والتنظيم والحشد ونشر أيديولوجياتها الراديكالية.

وقد أثبت الدارسون الدور الكبير للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في عملية التحول إلى الراديكالية، ومساعدة تنظيمات الإرهاب في تشكيل أيديولوجياتهم، بل وفي رسم تكتيكي تهم طرائقهم في تنفيذ عملياتهم، ثم الدعاية لها.

ومن مظاهر حروب الجيل الخامس أيضاً استهداف الفاعلين السياسيين الرئيسيين (القادة)، بدلاً من استهداف قواتهم في الميدان. والأمثلة على ذلك كثيرة، وتشمل استهداف صدام حسين في حرب العراق 2003، وقتل معمر القذافي وتصفية أسامة بن لادن عام 2011، واغتيال السفير الأمريكي في بنغازي، كريتوفر ستيفنز (2012).

وتعني فكرة "غياب القيود"، التي تتسم بها حروب الجيل الخامس، أيضاً تلاشي الحدود بين ما يعد سلاحاً وما لا يعد سلاحاً، وبين ما يشكل أرضاً للمعركة وما لا يعد مسرحاً لها، وبين المقاتلين والمدنيين، وبين الدول والفاعلين من غير الدول، وبين ما يعد أفعالاً أخلاقية أو إجرامية وما لا يعد كذلك.

المحور الثالث: وسائل الإعلام وتموقعها بالنسبة لأجيال الحروب

تقوم هذه الحرب على الدعاية والدعاية المضادة، وتتبنى استراتيجية التأثير لتغيير السلوك ونمط التفكير دون أن تعلن عن نفسها ودون أن يكون لها عنوان واضح مرئي أو تأثير مكشوف جلي، غايتها إجهاد العدو وتفكيك عناصر وحدته بتغييرات نفسية يمكن أن تمتد على مدى متوسط أو مدى بعيد، قد يكون أسابيع وشهورا أو سنوات، تقوم أدواتها على عناصر جديدة غير القوة العسكرية لكي تجنبه أهوال التدخل المباشر والروح العدائية التي تقابل بها قواته الغازية.

ليس هناك من يجادل حول أهمية الإعلام في كسب معركة العقول والقلوب. حسبما وصفتها الإدارة الأميركية. في مكافحة الإرهاب منذ وقوع اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر في 2001، وما أعقب ذلك من حراك عالمي تمركز في الكثير من جوانبه حول الإعلام، بمختلف وسائله وأدواته. ومن هنا قد لا يكون هناك جديد يذكر على صعيد النقاش حول دور الإعلام في الترويج للإرهاب أو الدفاع عنه، ولكن خطورة الإعلام في المرحلة الراهنة تتمثل في أنه تحول إلى أحد أبرز أدوات ما يُعرف بحروب الجيل الرابع، وهي نمط من الحروب بات يتردد كثيراً على ألسنة المحللين، وفي مقالات الرأي من دون أن يأخذ ما يستحق من اهتمام

بحثي ومعرفي في عالمنا العربي لدراسة أبعاده وأدواته وكيفية التعاطي معها والتصدي لأخطارها، خصوصاً أن أدوات هذه الحروب جميعها قائمة على وسائل القوة الناعمة ومنها الإعلام بطبيعة الحال.

ومن هنا تأتي خطورتها لكونها تتحرك من ملامح ومؤشرات ظاهرية اعتادت عليها الشعوب تاريخياً في حالات العداء وأجواء المواجهة. لم يكن توظيف الإعلام في الترويج لحالة الاضطراب الراهنة في العديد من مناطق العالم العربي ودوله سوى أحد أدوات حروب الجيل الرابع، حيث يزول أو يتماهى الخط الفاصل بين ماهو مدني وماهو عسكري، بين أعمال عنف وإرهاب على أرض الواقع وبين إعلام يدافع عن هذه الأعمال ويبررها ويروج لها ويكتسب لها من المتعاطفين والمؤيدين المزيد. واختراق المجتمعات وفقاً لنظريات علمية هي أحد أهداف هذا الجيل المتقدم من الحروب لتحقيق ما كان يحقق في عهود سابقة عبر الحروب والمدافع والدبابات، وخطورة هذه الحروب تكمن بالأساس في كونها النقلة النوعية الأبرز في تاريخ التخطيط العسكري منذ منتصف القرن السابع عشر، وتحديداً منذ معاهدة ويستفاليا التي أسست لمفهوم الدولة الوطنية في شكلها المتعارف عليها حالياً.

ثم جاءت حروب الجيل الرابع لتنهي إحدى دعائم هذه الدولة ممثلاً في احتكارها لشن الحروب، بحيث باتت التنظيمات والجماعات تدخل في حروب ضد دول، وربما تقودها إلى الحالة التي تعرف اصطلاحاً بالدولة الفاشلة كما في دول أفريقية وآسيوية عدة. اعتقد أن دور الإعلام في حروب الجيل الرابع بات معروفاً للكثيرين، ولكن المشكلة تبقى في أن البعض لم يزل يتعامل مع الإعلام باعتباره ظاهرة غير مؤثرة في استقرار المجتمعات والدول، وأن أزمة الصدقية التي تعانيها الكثير من وسائل الإعلام تضعف من تأثير الإعلام وتحد من دوره في تشكيل اتجاهات الرأي العام، وهذا صحيح نسبياً، ولكن ليس مطلق الأحوال، فهناك إعلام فقد بريقه وتأثيره بالفعل، ولم يعد يمتلك المقدرة ذاتها التي كان يمتلك فيها ناصية الرأي العام.

ولكن هذا الأمر لم يكن فقط بسبب أزمة الصدقية وكشف الغطاء الذي تتدثر به بعض وسائل الإعلام التي لعبت أدواراً مشبوهة في الفترة الأخيرة، ولكن أيضاً لوجود تنوع في البدائل وظهور منافس حقيقي للإعلام التقليدي سحب البساط من تحت أقدام معظم وسائل هذا الأخير، وهو الإعلام الجديد أو الإعلام الاجتماعي وما يعرف بوسائل التواصل الاجتماعي.

السؤال هنا: هل هناك دور للإعلام الاجتماعي في حروب الجيل الرابع؟ والإجابة هي أن هذا النمط الجديد من الإعلام هو رأس حربة حروب الجيل الرابع بما يمتلك من تأثير هائل ومتنام، لدرجة أنه أصبح يقود الإعلام التقليدي في كثير من الأحوال، وأصبحت صفحات «فيسبوك» و «تويتر» مصدر الأخبار

الأساسي للفضائيات والصحف الإلكترونية، ومن هنا تأتي خطورة الدور الذي تراهن عليه القوى الكبرى في تحقيق أهدافها داخل المجتمعات والدول عبر التوظيف الجيد لهذا الجيل الجديد من الإعلام.

الفجوة التقنية القائمة بين الأجيال في عالمنا العربي تجعل من الصعب على الجيل القديم الاعتراف بأن الخطر يكمن في «كبسة زر» على لوحة الحاسب الآلي، ورغم اعتراف شريحة واسعة من الجيل القديم بما حققه الإنترنت والإعلام الاجتماعي من تحولات نوعية هائلة في المجتمعات وما يمتلك من تأثيرات، فإن البعض داخل هذه الشريحة يعترف من باب مسايرة الآخرين ومن دون قناعة كاملة بأن في مثل هذه الوسائل ما يفوق الأدوات التقليدية القديمة خطورة وتأثيراً.

وبرأيي الباحث فإن أحد مصادر الخطر في حروب الجيل الرابع وما يروج له عبر الإعلام في أحيان كثيرة، باعتباره أحد أدواتها الأقوى تأثيراً، هي ثقافة المجتمعات والعمل على تآكلها بحيث يكون ذلك مدخلاً مناسباً لتفكيك الهويات الوطنية واختراق الدول والمجتمعات عبر طرق مختلفة، وهذا الأمر يحدث بشكل هادئ ومن دون أدنى ضجيج.

وهذه خطورة هذا الجيل من الحروب كونه يحدث من دون أدنى ضجيج وبأدوات بالغة التعقيد وبأهداف مرحلية متداخلة. ما يحدث في دول عربية عدة على المستوى الإعلامي، تحت ستار حريات الإعلام والإبداع والرأي، يمثل في كثير من جوانبه أحد تجليات حروب الجيل الرابع، فهناك تفكيك ضمني لمنظومات القيم الأخلاقية والمجتمعية.

وهناك نوع من التدريب الجماعي على الانزلاق الأخلاقي، الذي يتم تمريره تدريجياً تارة عبر وسائل التواصل الاجتماعي وعبر الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية تارة أخرى، وذلك كله بهدف تفكيك المنظومة القيمية للمجتمع وإضعاف قابليته لمقاومة التغيير القيمي والأخلاقي وربما السياسي في مراحل لاحقة. الشواهد تؤكد أن منطقتنا تواجه تحديات صعبة ليس فقط على صعيد التغييرات السياسية التي جلبت عدم الاستقرار وكرست الفوضى الأمنية والاقتصادية والسياسية في دول عدة.

بل إن المنطقة تواجه ما يشبه رياح التغيير القوية التي لا يمكن فهم أبعادها بمعزل عن أذرع النظام العالمي الجديد الذي يسعى إلى فرض منظومة قيمية عالمية ويهدف إلى نشر نوع من «النمذجة» السياسية والثقافية والاقتصادية في مختلف أرجاء العالم، وتحاول اذرع هذا النظام والقوة المهيمنة عليه أن تضعف دعائم الخصوصية في المجتمعات التقليدية من أجل ترجيح قابليتها للتغيير بمختلف أنماطه وأبعاده.

إن التحدي الأبرز الذي تواجهه دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وفي مقدمتها دولة الإمارات العربية المتحدة، يتمثل في قدرتها على استيعاب طبيعة الصراع الدولي الراهن، بما يشمله من متغيرات ديناميكية ومحركات مؤثرة. ويقتضي هذا الفهم العميق رسم سياسات واستراتيجيات فعالة لمواجهة التحديات الراهنة والمحتملة، لا سيما تلك التي تتسلل إلى المجتمعات الخليجية عبر الأدوات الإعلامية الحديثة المستخدمة خاصة لدى فئة الشباب.

وتتطلب هذه المرحلة إدراكًا عميقًا لكيفية توظيف الإعلام في تشكيل الرأي العام، والتأثير في الاستقرار الاجتماعي والثقافي، حيث أصبحت وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي أدوات رئيسية في حروب الجيل الرابع، التي تستهدف بنية المجتمعات من الداخل عبر نشر الشائعات، وتضليل الحقائق، والتلاعب بالعواطف.

لذلك، فإن وضع خطط واستراتيجيات واضحة لتعزيز الوعي الإعلامي والمجتمعي، ودعم المحتوى الإعلامي الهادف، وتعزيز الأمن السيبراني، يعد ضرورة ملحّة لضمان استقرار المجتمعات الخليجية وحمايتها من التأثيرات السلبية للتدفق الإعلامي غير المنضبط.

الخاتمة:

تشكل حروب الجيل الرابع تحديًا معقدًا للمجتمعات الحديثة، حيث تعتمد على استراتيجيات غير تقليدية تهدف إلى إضعاف المجتمعات من الداخل دون الحاجة إلى مواجهة عسكرية مباشرة. تتميز هذه الحروب بكونها غير واضحة المعالم، إذ لا تستهدف الدول والجيوش التقليدية، بل تركز على الأفراد والمجتمعات من خلال استغلال الفضاء المعلوماتي والتأثير النفسي. والهدف الأساسي منها هو زعزعة الاستقرار، وزرع الشكوك، وتفكيك الروابط الاجتماعية والثقافية التي تجمع الأفراد.

تعتمد هذه الحروب على استراتيجية "الدائرة المغلقة"، حيث يتم الالتفاف حول الأهداف المستهدفة دون مهاجمتها بشكل مباشر. فبدلًا من التصادم الصريح مع قيم المجتمع ومعتقداته، تُستخدم أدوات خفية مثل الإعلام، والشائعات، والدعاية النفسية، مما يجعل الأفراد يتعرضون لهجمات فكرية دون إدراك مباشر لذلك. وتستغل هذه الأساليب الفجوات النفسية والاجتماعية الموجودة في المجتمع، مما يسهل تمرير رسائل التضليل دون إثارة ردود فعل قوية في البداية.

تعد الحرب النفسية إحدى أكثر الأدوات فعالية في حروب الجيل الرابع، حيث تستهدف المشاعر والعواطف قبل أي شيء آخر. ويُعتمد فيها على الحد الأدنى من الكلمات واستخدام الصور بشكل مكثف، حيث يمكن التلاعب بالمعلومات المرئية والنصوص المختصرة لتوجيه الرأي العام في اتجاه معين. وهذا النوع من التأثير يسمح بإعادة تفسير الأحداث العادية لتبدو وكأنها تهديدات خطيرة أو مؤامرات تستهدف المجتمع، مما يؤدي إلى نشر الذعر وزيادة التوتر الاجتماعي.

يُستخدم التهويل والتشويه كأدوات رئيسية في هذه الحرب، حيث يتم دمج معلومة صحيحة مع أخرى كاذبة، مما يجعل التحقق من صحة الأخبار أكثر صعوبة. كما أن إعادة تفسير الأحداث بطريقة مضللة يساهم في تشكيل رأي عام غير دقيق، يدفع الأفراد نحو اتخاذ مواقف متطرفة أو متسرعة دون وجود أساس منطقي أو أدلة واضحة. وهذا الأسلوب يخلق بيئة مشحونة بالتوتر، تجعل المجتمع أكثر عرضة للاستقطاب والتفكك الداخلي.

تكمن خطورة هذه الحروب في صعوبة كشف التضليل الذي تُبنى عليه. فعملية التحقق من صحة المعلومات وتصحيحها تتطلب وقتًا وجهدًا كبيرًا، بينما تنتشر الشائعات بسرعة كبيرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الإعلامية المختلفة. وهذا الاختلال في سرعة النشر والتصحيح يجعل المعلومات المغلوطة تترسخ في أذهان الأفراد قبل أن يتم تصحيحها، مما يزيد من صعوبة التعامل مع آثارها.

من أبرز تأثيرات هذه الحرب أنها تدفع الأفراد إلى الصمت والخضوع لما يُعرف بعقلية القطيع. فمع انتشار الأخبار المضللة والمعلومات المغلوطة بشكل مكثف، يصبح من الصعب على الأفراد المجازفة بإبداء رأي مخالف خوفًا من العزل الاجتماعي أو الهجوم الإعلامي. وبهذه الطريقة، تتحول المجتمعات إلى بيئات غير نقدية، حيث يُعاد إنتاج نفس الروايات دون تمحيص أو تدقيق، مما يؤدي إلى فقدان القدرة على التفكير النقدي واتخاذ قرارات واعية.

يلعب الإعلام الرقمي دورًا محوريًا في نجاح هذه الاستراتيجيات، حيث تسهل خوارزميات مواقع التواصل الاجتماعي انتشار المحتوى الذي يثير العواطف ويؤجج الخلافات. كما أن الاعتماد على المعلومات السريعة والمحتوى المختصر يقلل من قدرة الجمهور على التفكير العميق وتحليل المعلومات بشكل منطقي، مما يجعلهم أكثر عرضة للتأثر بالدعاية المضللة. لذا، فإن تعزيز الوعي الرقمي وتطوير مهارات التحقق من الأخبار أصبح ضرورة حتمية لمواجهة هذا النوع من الحروب.

يتطلب التصدي لحروب الجيل الرابع استراتيجيات متكاملة تشمل الأفراد، والمؤسسات، والدولة. فمن الضروري تعزيز المناعة الفكرية لدى المواطنين من خلال برامج تعليمية وإعلامية تركز على التفكير النقدي، وتمكين الأفراد من مهارات تحليل المعلومات وتمييز الأخبار المضللة. كما أن تطوير منصات إلكترونية لمكافحة الشائعات ونشر الحقائق بسرعة يساهم في تقليل تأثير الحملات الإعلامية المضللة.

على مستوى الدولة، يجب وضع سياسات إعلامية واضحة تهدف إلى تعزيز الشفافية، ونشر المعلومات الصحيحة بسرعة لمنع انتشار الشائعات. كما ينبغي تشجيع التعاون بين المؤسسات الإعلامية الرسمية والمستقلة لضمان تقديم تغطية موضوعية ومتوازنة للأحداث، مما يقلل من فجوات المعلومات التي يستغلها المروجون للأخبار الزائفة.

بناء على ما سبق نقدم جملة من التوصيات:

6. **تعزيز الثقافة الإعلامية**: يجب نشر الوعي بأهمية التفكير النقدي وتحليل المعلومات، خاصة عبر المناهج التعليمية وبرامج التثقيف العام.

7. **تطوير أدوات لكشف التضليل**: ينبغي إنشاء منصات تقنية تعتمد على الذكاء الاصطناعي لتحليل الأخبار ورصد المعلومات المضللة في وقت مبكر.

8. **دعم الإعلام المهني**: يتطلب التصدي لهذه الحروب دعم الصحافة الاستقصائية والإعلام القائم على الحقائق لمواجهة الشائعات والمعلومات المزيفة.

9. **تعزيز الشفافية الحكومية**: نشر المعلومات الصحيحة بشكل سريع من المصادر الرسمية يقلل من تأثير الأخبار الكاذبة.

10. **تنظيم وسائل التواصل الاجتماعي**: وضع قوانين وسياسات تلزم المنصات الرقمية بمكافحة المحتوى المضلل، مع تشجيع المبادرات المحلية للتصدي للحملات الإعلامية المغرضة.

11. **بناء مجتمعات رقمية واعية**: تشجيع المستخدمين على التحقق من الأخبار قبل مشاركتها، والتفاعل النقدي مع المحتوى الإعلامي بدلاً من قبوله دون تمحيص.

12. **التعاون الدولي**: مشاركة الخبرات والتجارب بين الدول لمواجهة تحديات حروب الجيل الرابع، خاصة في مجال الأمن الرقمي والإعلامي.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد الوهاب منصور ،**المنشورة لدى الرأي العام في ضوء مفهوم حروب الجيل الخامس** ، المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال، العدد 131، 2020.
2. أحمد علّو، **هل أصبحنا في الجيل السادس**، مجلة الجيش، العدد 405، آذار 2019.
3. شادي عبد الوهاب منصور ،**حروب الجيل الخامس**، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2019.